اضطراب عالمنا في فوضى الأهواء

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٩/٦/١٩م

حينما يَسْلَمُ عالمنا الإسلامي في وقت من الأوقات من ضربات غير المسلمين، نجد أن المسلمين يقتل بعضُهم بعضًا، فإما أن تُوجَّه قذائف طائرات أعداء المسلمين إلى المسلمين، في فلسطين والعراق والبوسنة وأفغانستان... وإما أن يقتل المسلمُ المسلمَ حينما تتوقف هجمة غير المسلمين على المسلمين..

أليس هذا من الأمور العجيبة؟!

هل نحن الأمة التي تنتمي إلى القرآن؟

هل نحن الأمة التي تقول: إمامنا محمد عليه الصلاة والسلام؟

هل نحن الأمة التي تتوجّه إلى الكعبة الواحدة؟

هل نحن الأمة التي تتحدث عن ثوابتها...؟

إنه لَواقع مؤلم يدل على وصولنا إلى حالة من التردّي.

ولو كان هذا الأمر ظاهرة تنحصر في مكان - كما كان يومًا من الأيام عندما كنا نشهد ظاهرة الخوارج على سبيل المثال - لكنا نقول: إنها قضية فهم سقيم في بؤرة صغيرة.

لكننا حينما نتلفت شرقًا وغربًا، وننظر من أقصى المغرب العربي إلى إفريقيا إلى شرق آسيا لِنجدَ في كل هذه المناطق المسلمَ الذي يحمل السلاح على المسلم، نفهم أنها تحولت إلى أزمة إسلامية عالمية، فنحن لا نعيش اليوم أزمة محلية في إقليم، إنما نعيش أزمة عالمية إسلامية.

وهكذا كنت أقرأ في كتاب الله تبارك وتعالى، واستوقفني نصٌّ في سورة الروم أردت أن أجعله في هذا اليوم محور الحديث، يقول الله سبحانه وتعالى فيه:

- {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الروم: ٢٩] إنها قضية تبيّن السبب بوضوح شديد، فلا يمكن للأمة التي قال لها نبيّها: **(لا تظالموا)**، وكذلك قال: **(لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض)**.. لا يمكن لهذه الأمة أن تتحوّل إلى هذه الحالة المُزرية..

رفقاء الأمس في الصومال الذين كانوا يزعمون جميعًا أنهم يقاتلون من أجل رفع راية "لا إله إلا الله" ومن أجل أن يكون لواء الحق عاليًا، تجد أنهم سرعان ما تحوّلوا..

وهذا مثال بسيط من الأمثلة التي نقرؤوها اليوم.

واليوم يُسلّح في الباكستان صفٌّ ضدّ صفّ، ويُحمّلون السلاح الثقيل، من أجل أن يقتل بعضهم بعضًا.

عدوّنا الذي يُخطط لتدمير هذه الأمة يستغني عن استعمال السلاح، لأنه يجد أن القابلية لدى المسلم أصبحت عالية من أجل أن يكون أداة طيّعة بقصد أو بغير قصد.

- { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا } إنه الظلم الذي يبدأ من الظلم القولي إلى الظلم المالي إلى الظلم باليد، إلى أن يصل إلى ظلم الإنسان للإنسان حينما يريد استئصاله بقتله، وفي هذا ظلمٌ ما بعده ظلم، لأنه عند الله سبحانه وتعالى يتفوّق في الظلم على هدم الكعبة: **(لهدمُ الكعبة حجرًا حجرًا أهون على الله من قتل المسلم).**

إذًا: لا يمكن للإنسان أن يقع في الظلم وهو يتّبع القرآن ويفهمه، وهو يفهم التوازن الذي أوجده في تربيته سيدُنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وهذا عبد الله بن أبي بن سلول يقول: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ".

إنه يتحدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصف نفسه بأنه الأعز، ويصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الأذل، ويقول: لئن رجعنا إلى المدينة فإن الأعز منا سوف يُخرج الأذل.

وأمام هذه التحدي، الذي لا نقرأ في السيرة النبوية تحدّيًا داخل المجتمع الإسلاميّ وتطاولاً يصل إلى مثله، نقرأ بعد ذلك أن ولده عبد الله بن عبد الله يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول له: يا رسول الله، لا تأذن لأحد أن يقتل أبي، بل ائذن لي أن أقتله حتى لا يبقى في قلبي حقد على أحد من أصحابك يا رسول الله، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا، حتى لا يقول الناس: إن محمدًا يقتل أصحابه).**

إنه رأس المنافقين، ويعلن الكفر الصريح البواح حين يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذليل، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنع أن تظهر في مجتمعه ظاهرة قتل المسلم لمسلمٍ في الظاهر، وإن كان هذا المسلم في الظاهر كافرًا في الباطن بنصّ القرآن، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد لهذه الظاهرة أن تظهر في أمته.

وهكذا يستطيع الإنسان الذي يفهم القرآن ويفهم سلوك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ألا يكون من أهل الهوى الذين قال فيهم: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ } .

- { بِغَيْرِ عِلْمٍ } فلو كان عندهم عِلم ما وقعوا فيما وقعوا فيه.

وحينما يُخيَّرُ المسلم بين أن يكون القاتل أو المقتول، فإنه يختار أن يكون المقتول، ليكون أحد ابني آدم الذي قال: { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ } [المائدة: ٢٨].

- { فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } .

وبعد هذا كأن القرآن يدعونا إلى فهم الإسلام، فالإسلام ليس الدين المُعقَّد، إنما هو دين فطرة..

الإسلام يستطيع الأعرابيّ أن يفهمه، ويستطيع العالِم والبسيط أن يفهمه..

الإسلام أنزله الله إلى البشرية كافة، لتقرؤه ولتفهمه البشرية كافة.

وهكذا قال سبحانه مُبسِّطًا ومختصرًا:

- { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا } أي: وجِّه قلبك من أجل أن تكون مُتَّبِعًا لهذا الدين.

- { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } فنحن لا نجد صعوبة إن صدَقنا من أجل توجيه الناس إلى الإسلام، لأن الإسلام مغروس في فطرة قلوب جميع الناس.

- { لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } فلا يستطيع أحد أن يُبدّل القلوب، فالقلوب مستعدة من أجل قبول الحق، لكنها تنتظر اللحظة التي يتقدم فيها مَن يُحسن الخطاب، ومَن يُحسن الأخلاق، ومَن يُحسن المعاملة، ومَن يُقدّم النصّ من غير تعقيد ومن غير تنظير، ومن غير أن يصرف الناس عن المقاصد التي يدعو إليها الإسلام.

- { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } القيّم أي: الذي يهدي إلى الأقوم، والذي يهدي إلى الأفضل والأصلح والأكثر توازنًا... فالميزان في الإسلام واضح لا يحتاج إلى تنطُّع، ولا إلى كثير مبادرة.

وهكذا نقرأ الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم رحمة الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: **(هَلَكَ الْمُتَنَطِّعون)** أي الذين يبالغون في الأمور، ويُعقِّدون الإسلام ويُحوّلونه إلى شيء لا يُفهم.

لا.. فالإسلام يَسْهُل أن يستوعِب القريب والبعيد وأن يُستوعب، فيسهل على كل قارئ للإسلام أن يَفهمه وأن يُفهمه.

وأستأذنك يا رسول الله في فهم هذا الحديث أن أصف الواقع الذي نعيش فيه فأقول: يا رسول الله صدقت بقولك: هلك المتنطعون، وهاهم اليوم يُهلكون.

إنهم لا يَهلكون فقط من خلال غضب الله والبُعد عن المقاصد الإسلامية، لكنهم يُهلكون لأنهم يحوّلون ساحة عالمنا الإسلاميّ التي من المفترض أن تكون منطلق الدعوة، ومنطلق الأخلاق، ومنطلق العِلم...

لقد حوّلوها إلى واقع مضطرب، وشُغِل بعضنا ببعض.

الجماعات الإسلامية اليوم تصطرع، فمن يُسمَّون بالعلماء يصطرعون، ومن يُسمَّون بالدعاة يصطرعون، ومن يُسمَّون بالمجاهدين يقتتلون...

أيُّ واقع هذا؟ هل هذا يدل على الإسلام؟

أمة المليار والنصف، التي من المفترض أن تكون أمة العِلم التي تخاطب الناس بالإسلام، والتي تُخرج العالَم من الظلمات إلى النور... أمةٌ مشغولةٌ بأغراضها ومآربها وبخلافاتها الشخصية.

وهذا أمر لا يمكن أن يقبله الإسلام، والله سبحانه وتعالى يُبيّن الطريق باختصار، فيقول سبحانه في الآية التي بعدها:

- { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } .

إنها أمور يدعو إليها هذا النصّ القرآنيّ مبيّنًا طريق الوصول إلى حالة القوة، وإلى توجّه القلب إلى الدين وإلى هذا المنهج الذي فيه: "لا إله إلا الله" و"محمد رسول الله"، وفيه القرآن الدستور المُنظِّم الموجّه، وهي:

١- { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ } : أي: كلما أخطأتم ترجعون إلى الله.

هذا هو الإسلام باختصار، وعلى الجماعات الإسلامية، وعلى كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام، أن يفهم باختصار هذه العناوين، وأن يستوعب - عندما يجد هذه الثوابت - ما تعنيه.

وهكذا يُقدّم الإسلام الموضوعية والواقعية، ولا يُقدّم المثالية، فكلما أخطأ المسلم يرجع إلى الله ويتوب.

ويا ليتنا نفهم عنوان الإنابة، فإذا أخطأ أخوك، أو أخطأت الجماعة، أو أخطأ المجتمع، أو أخطأت الفئة... ترجع إلى الله.

وفي فقهنا الإسلاميّ عندما يثور البُغاة على المجتمع الإسلاميّ لماذا لا يحل أن تؤخذ أموالهم ولا أن تُسبى نساؤهم؟

لأن المقصود: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ } [البقرة: ١٩٣]

من أجل إخماد القوة التي من خلالها تُستخدم الوسائل لإثارة الفتنة، لا.. لا من أجل الظلم.. لا من أجل الانتقام.. لا من أجل البغي.. وأنت تستوعب أنه مخطئ.

٢- { وَاتَّقُوهُ } : أي هناك محارم، وهناك حدود ثابتة لا ينبغي أن تقترب منها، فلا يختلف مسلم مع مسلم في أن الزنا حرام، أو أن أكل لحم الميتة حرام، أو أن أكل لحم الخنزير حرام، أو أن شرب الخمر حرام...

هذه الثوابت التي من خلالها نستطيع أن نفهم التقوى، وأن نبتعد عما حرمه الله، هي المعلوم من الدين بالضرورة، أما ما اختُلف في تحريمه فليس لك أن تتحدّث فيه إن كان هناك رأيٌ فقهيٌّ يستوعبه، وليس لك أن تنكر إلا على ما اجتمع الفقهاء والعلماء على إنكاره.

فالتقوى أن نتحدث عن الابتعاد عن المحرمات التي اتُّفق عليها، والتي ثبت عن الله ورسوله النصّ فيها.

٣- { وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ } : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي جنوده ويقول: **(إذا سمعتم الأذان في قرية فلا تدخلوها)**، فهم يقيمون الصلاة، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يتحدث عن إقامة الصلاة لأنها العنوان التي يُعلن العبد فيها: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة: ٥] فهو يعلن ذلك بلسانه، ولسنا مسؤولين عن قلبه، فهو يقول في الصلاة: "إياك نعبد"، فإذا سمع الجند من قريةٍ أذانًا، منع ذلك الأذانُ الجيشَ من دخول المدينة أو القرية.

فهل يحصل هذا في مجتمعاتنا اليوم، والمسلمون يقصف بعضهم مساجد بعض؟!

٤- { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا } : وحينما يستعمل النصّ القرآنيّ لفظ الشرك مع الفرقة فإنه يقدّم لنا تأكيدًا على معنى الظلم الذي تَقدّم في مطلع النصّ، لأن أعلى درجات الظلم الشِرك، وهاهو يسمّي الفرقة شِركًا، لأن الله واحد، ووحدانية الله تقتضي وحدة الأمة، وحينما لا يظهر أثر التوحيد في السلوك الإسلاميّ في المجتمع الإسلاميّ، فإن ظاهرة الشرك ستكون السائدة فيه.

{ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } أليس هذا ما نعيشه اليوم؟

أليس هذا هو الواقع الذي تعيشه أمتنا من أقصاها إلى أقصاها؟

وبعد ذلك يورد القرآن في الآية التي تأتي بعدها قضيةً ملفتة للنظر، وهي أن الإنسان حينما يقع في الشدة سرعان ما يلجأ إلى الله، وقد قالوا: لَمّت الآلام منا شملنا.

وعندما قصف الكيان الصهيوني غزة، وقصفت طائرات أمريكا أرض العراق، هل كنت تسمع وقت ذلك القصف والشدة إلا صوتًا واحدًا مشتركًا على أرض غزة أو العراق؟ فالمآذن كلها تصيح: الله أكبر.

وعندما توقفت الطائرات عن القصف، بدأ الحماسيّ يقتل الفتحاويّ، والفتحاويّ يقتل الحماسيّ، والشيعيّ يقتل السُنّيّ، والسنيّ يقتل الشيعيّ..

إنها ظاهرة ملفتة للنظر، ففي وقت الشدة ينسى الإنسان كل شيء ويتوجه إلى الله.

وكأن الله سبحانه وتعالى يُهدد الأمة بهذا النص ويقول: إن كنتم لا تقبلون التوحيد فانتظروا الشدة، لكنه تهديد غير مباشر، يقول سبحانه:

- { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ } ويستعمل العنوان الذي ذكرناه في الطريق إلى وحدة الأمة وهو: **(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ)**، فعندما يصيبكم أو ينزل بكم ضُرّ وشدة تتحدون جميعًا وتلجؤون كلكم إلى الله.

- { ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } ويعيد عبارة الشرك التي ذكرها قبل قليل، والتي تُذكّر بالفُرقة والتناقض مع معنى التوحيد الذي وجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة إليه بشطريه: الاعتقاديّ والسلوكيّ، عندما اختصر فقال: **(أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد)**، فاعتقدوا بذلك، واشعروا بمعنى الأخوة الإنسانية التي تجعلكم في حالة من الارتقاء المعنويّ.

- { لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } فهل لديكم حُجّة وبرهان فيما تفعلونه حينما ترتكبون الشِرك السلوكيّ؟

- { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } وهو يشير بهذا إلى حالة المُتفرِّج الذي يتحدث بلسان اليأس والقنوط، ونحن أمة ممنوعة شرعًا من اليأس.

علينا أن نقطع رأس اليأس بالسيف حتى لا يكون له وجود بيننا، فأملنا بالله كبير مهما كانت أحوالنا مُتردِّية، لأن لدينا من القوة المعنوية ما يعطينا الأمل، فالقرآن محفوظ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فينا: { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ } [الحجرات: ٧] وأمةٌ فيها القرآن ومحمدٌ عليه الصلاة والسلام أمةٌ قوية.

- { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } وهو بهذا يذكّرنا بالدورة التي فيها المداولة وتقلب الأحوال، فإذا رأيتم أنكم في حالة من الضعف فسوف تأتي بعدها حالة من القوة، وإذا رأيتم أنكم في حالة من القوة فسوف تأتي بعدها حالة من الضعف: { وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } [آل عمران: ١٤٠] فإياكم مهما تردّت أحوالكم أن تقعوا في القنوط.

ثم وجّه بعد ذلك توجيهًا اجتماعيًّا يُقوّي الأواصر، والنصّ كلّه يتحدّث عن قضية الوحدة الإسلامية، ولماذا يقول في الآية التي بعدها: { فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ } ؟

لماذا يدعو إلى الإنفاق؟

لماذا يدعو إلى إخراج المال من الملكية الخاصة ليكون متداوَلاً بين الفقراء والغرباء والأقرباء..؟

- { فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ } فالغنيّ في الأسرة يُنفق على الفقير فيها.

- { وَالْمِسْكِينَ } الذي لا يوجد لديه من المال شيء، فيصبح بفضل الله وبتقوى قلب الثريّ الغنيّ مُستغنيًا مكتفيًا.

- { وَابْنَ السَّبِيلِ } وابن السبيل: غريبٌ انقطع في بلاد المسلمين.

هذه هي أخلاق الإسلام.. ينفق على القريب والبعيد، وليست أخلاق الإسلام أن يقتل المسلمُ المسلم.

- { ذَلِكَ خَيْرٌ } حين يكون هذه الإيتاء، لكن ماذا قال بعدها؟

- { لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ } وهاهنا بيت النص (لا بيت القصيد، فالقرآن ليس قصيدة).

وحينما نقابل بين قوله تعالى: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ } وقوله: { لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ } نجد أن الذين يريدون وجه الله ينتظرون أمر الله، ويتّبعون ما يمليه عليهم كتابُ الله وهديُ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ثم يُحذّر من الربا لأنه سبب الظلم والمحق ولأنه عين الظلم، فيقول سبحانه في مقابلة الإيتاء الذي يُخرج فيه الإنسان عن ماله الخاص، وينتقل إلى نموذجٍ من الظلم الماديّ الذي هو الربا:

- { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } وهكذا يقدم وهو يعالج ظاهرة الفُرقة الاجتماعية تنبيهًا يتماشى مع توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعادوا تحابوا)، فكلما كثر الإنفاق ازدادت الوشائج الاجتماعية تماسكًا، وكلما انتشرت ظاهرة الربا دلّ ذلك على ظلم الإنسان للإنسان، والمجتمعُ المتظالم هالِكٌ ومُتفرِّق، والمجتمعُ المتكافل مجتمعٌ لا يمكن له - وبعض أفراده ينفق ماله على بعض - أن يحمل ما يسبب قتل أخيه.

فهاتان صورتان متقابلتان تمامًا، فكيف يمكن للذي يعطي ماله أن يقتل الذي يعطيه؟

لا يمكن أن تجتمع الصورتان أبدًا.

وبعد هذا يختصر ويختم هذا الموضوع حين يقول سبحانه:

- { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } فمن خَلقك ورَزقك ويُميتك ويُحييك... يستحق أن تتوجه بقلبك إليه، لتكون من الذين يريدون وجهه، فلماذا تتوجّه إلى غيره وتتبع الهوى؟

- { هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } .

ويختم حين يقول:

- { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ } وبيّن سبحانه وتعالى أن هذه الفوضى التي تظهر على كوكبنا الأرضي إنما هي بسبب الأهواء، وبسبب ما كسبت أيدي الناس.

وما كسبته أيديهم ناتج عن أهوائهم، وما نزلت الشدة بهم وما حصل هذا الاضطراب وما عانت البشرية مما عانت منه، إلا من أجل أن تتذكر أن الطريق إلى السلام وإلى الرحمة العالمية وإلى التراحم العالمي... إنما هو الرجوع إلى الله الذي خَلَق ورزق ويحيي ويميت.

الطريق إنما هو الرجوع إلى الله، لعل البشرية ترجع حينما تعاني كثيرًا من الاضطراب.

- { لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الروم: ٢٩-٤١] فهو لا يُنزل هذه الشدة من أجل العقوبة، لكنه يُنزلها لعل البشرية تتذكر أن الطريق إلى تراحمها إنما هو التوجه إلى الله الذي خلق ورزق، وهو وحده الذي يحيي ويميت.

أما آن أن تفهم البشرية سبب الأزمات المالية التي تعاني منها؟

أما آن للمجتمعات الإسلامية أن تستوعب بعضها بعضًا؟

أما آن للمسلم أن يفهم إسلامه؟

أما آن لنا أن نرتقي إلى السدّة التي أرادها الله سبحانه وتعالى محلاً ومكانًا لنا؟

متى نفهم إسلامنا؟

متى ندرك أننا نملك كنـــزًا كبيرًا لكننا ننساه ولا نستعمله ونُعرض عنه ولا ندرك كلمته...؟

متى نفهم أن انتماءنا إلى الإسلام يعني أننا ننتمي إلى أعظم مبدأ، لأنه مبدأ نـــزل بعلم الله، وأنه المبدأ الذي أرشد الله به البشرية كلها؟

متى نتذكر واجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى؟

متى نخرج عن نفسانياتنا؟

متى نخرج عن شخصياتنا؟

متى نخرج عن فهومنا الضيقة، حتى نَفهم ديننا ونُفهمه، وحتى نتخلص من أزماتنا التي ما وجدت إلا بسبب أهوائنا، وهذه الأهواء هي التي أنتجت الظلم وهذا الاضطراب الذي نعيش ظلاله اليوم؟

إلى القرآن الكريم مرة أخرى، تدبُّرًا وفهمًا والتزامًا وتخلقًا وعملاً، وإلى التزام شخصِ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمامًا وقدوة، في الأخلاق والأقوال والأفعال.

لعلنا نعود ثانية إلى معدن إسلامنا وروحه..

لعلنا نرجع ثانية إلى إنسانيتنا التي كدنا نفقدها مع أننا نـــزعم الانتماء إلى الإسلام.

رُدّنا اللهم إلى دينك ردًّا جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.